الموقف الرشيد
لما تمرّ به الدعوة من التشديد

إعداد

فضيلة الشيخ العلامة

مشهور حسن آل سلمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيّه الأَمين، وعلى مَن اهتدى بُهداهم إلى يَومِ الدِّين:

أما بعد:

فقد سألني أحد الأخوة عن موقف الرضي الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم السنيّ في ظل ما يشهده الوضع من تشديد على الدعوة السلفية الهادية الرشيدة، فأجبته على نحو مختصر، ثم أعدت النظر فيما أجبته، وزدت على إجابتي بياناً وشرحًا وتفصيلاً، يقتضيه المقام، مما هو واجب الوقت، وواجب النصح فيه.

وكان نصُّ السؤال على النحو الآتي:

فضيلة الشيخ -حفظكم الله-:

ما توجيهكم للإخوة السلفيين، في ظلّ ما تتعرض له الدعوة اليوم؟!

فأجبته:

[العسر واليسر سنة شرعيّة]

أولاً: أنَّ الذي يجري -الآن- أنا أعتبره سنَّةً لله -تعالى-، وهذه سنَّة ليست جديدةً.

والدعوَات كلُّها في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

الدعوات تمرّ بمد وجزر، والله -جل في علاه- من سننته أنّه [يجعلُ مصافٍ يصفي] الناسَّ ويمتحنهم ويبتليهم.

[منع الدروس والخطب في المساجد ليس منعًا للقاء والتزاور]

ونحن ولله الحمد والمنة -بفضل الله علينا- ما أوذينا، [فها نحن مجتمعون في بيت [أخ لنا].

انتقلنا له من مدينة لمدينة، و [هاهم] الإخوة -الفضلاء- جاؤوا إلى [وحضروا بسهولة].

فكلّ هذه الحملات، وكلّ هذه الأموال [التي تنفق] من فضل الله -تعالى- ما أصابت منَّا شيئًا.

أسباب وتهيئة أسباب انتشار الدعوة [قد تضعف، مثل] التنقل، [هذا] ضَعُفَ، وهذا ما ينكره أحد؛ لكن [مع هذا] -فالحمد والمنة لله- الأمور بخير.

[دعوتنا مميزة عن غيرها من الدعوات]

كثير من الناس مالوا إلى الدعوة -دعوة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة-؛ لإنهم وجدوا [الدَّعوَات الحزبيّة الأُخْرَى] مُفْلِسَة.

وميلهم ليس ميلاً عن قناعة كاملة؛ فيظهر الضعف على هذا الصنف من الناس، [هذا] أمرٌ طبيعيٌّ، وليس بمستغربٍ.

[دعوتنا أصولها ثابتة بخلاف أهل الأهواء والحزبيين]

والذي يعزينا أنَّ يجري اليوم من تمكين للأشعرية والصوفية وجماعة التبليغ، إنما هو توصيات مراكز بحثيّة أمريكية، [وأهمها] مركز السادة.

ومن فضل الله علينا -ولا سيما في بلادنا الأردن- عرفوا الدعوة -ولا سيما الدوائر الأمنية- القائمين على حفظ أمن البلد.

عرفوا أنَّ الدعوة -ولله الحمد والمنّة- دعوة هادئة، دعوة [أمن] وإيمان [وأمانٍ]، دعوة اجتماع، ليست دعوة تفريق.

هي دعوة ليس فيها عنف، ولا تطرف، ولا [ما يوجب] أن يُعتذر عنه.

[دعوتنا تقبل من جميع علماء أهل السنة والجماعة، وتعظم الدليل]

أنا أدين الله -تعالى- بقال الله، قال رسول الله، وأحب العلماء جميعًا، وأنا أزعم أنّ الذي يأخذ من الأئمة الأربعة، أشد حبًّا ممّن يأخذ من عالم دون الآخرين.

وأنّ هذا [المنهج العلمي، المتمثل باتباع الدليل] هو الأقرب للحق، وهو الذي نمارسه في كل أعمالنا.

أنت -الآن- لما تبدأ ببناء جديد، تريد أنظف الأشياء وأحسنها، [فإذا لم] تكن متخصصًا تجتهد، وقد يكون اجتهادك خطأً؛ لكن [مع هذا] تجتهد.

إذا كان هذا حالك في أمر دنيوي، فمن باب أولى [أن يكون حالك في أمر أخروي].

[السلفية والمذهبيّة]

ثم نسأل: الذي يتكلم ويشدد على موضوع التمذهب! [ووجوب لزوم تقليد مذهب واحدٍ]!

نقول له: ما طريقتك في أطروحتك للدكتوراه أو الماجستير؟!

[سيجيب حتمًا] أنني أتيت بالأقوال، وذكرت الأدلة، ورجحت بينها!!

نقول له: رجحت بناء على أي شيءٍ؟!!

[فسيقول:] بناء الدليل!!

[فنقول له:] [فأين المذهب ووجوب تقليدك إياه؟!!]

لهذا فإن موضوع التمذهب الذي يدندن عنه هؤلاء، لو طبق على [أطروحاتهم في الدكتوراه والماجستير] فستسحب منهم شهادتهم كل العليا؛ لأنهم غير صادقين! [لأنهم يدعون إلى المذهبية ويخالفون دعوتهم في رسائلهم العلمية!]

[وحقيقة مثل هذه الدعاوى، إنما جاءت من] مراكز غربية، توجههم نحو هذه الوجهة]، فمالوا معها، وساروا سيرها.

وإلا فالوقت الذي نعيشه، وقت تحرر من كل شيء.

[خاطرة علميّة تدل على ثمرة التحرر من التعصب المذهبي]

[ومن عجيب ما أذكر مما له صلة بموضوع التعصب]: أنني لمّا كنت أقرأ في (كتاب الموافقات) للإمام الشاطبي، وجدته يقول: أما كتب الحنفية والشافعية والحنبالة -الآن- لا تجد كتابًا واحدًا لهم في الديار الأندلسية.

[إلا أنني وقفت على كلام للشاطبي في كتاب (الاعتصام) لما أكرمني -الله تعالى- بتحقيقه- ينقل فيه نقلاً مطولاً -قدر صفحتين- عن بعض الحنابلة مسألة ما]، فقلت في نفسي: من أين للشاطبي هذا الكتاب؟!

وبعد تتبع مضنٍ، ولم يكن في ذلك الوقت لا مكتبة شاملة، ولا أنترنت، وفي يوم من الأيام -فتح الله سبحانه وتعالى- عليَّ، وكنت اقرأ في (كتاب بيان الدليل لإبطال التحليل)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، فوجدت كلامًا وافق الذي كنت قرأته في كتاب الشاطبي، فإذا هو هو بالحرف.

إذًا الشاطبي وقف على كلام ابن تيمية، من أين وكيف وقف؟ وهو يقول في (الموافقات) ليس عندنا في الديار الأندلسية كتاب حنبلي؟!! فتتبعت شيوخه، فوجدت أنّ له شيخًا أكرمه الله به هو: ابن لبّ.

وشيخه هذا كانت له رحلة للشام، التقى بها بابن القيم، وحمل بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية معه، فعرف الأمر[١].

اليوم عصر انفتاح، لا عصر انغلاق وتمذهب، بل هو عصر موسوعات، [لا يناسبه دعوة تمذهب أو تعصب أو جمود]، فاليوم الباحثون متفلتون من الأحكام القطعية! ومن [مسائل] الإجماع!! التي نصّ عليها أهل العلم.

مثل هؤلاء لا يحاسبون؟! من يتكلم بكلام من الرأس ما أحدٌ يحاسبه!!

[أما الذي يتخيّر] وفق الدليل، فهو الذي يحاسب [ويؤاخذ]!!

أنا أقول كما علمنا كما علمنا شيخ الإسلام في كتابه العظيم، وهو رسالة صغيرة، -أنصح كل سلفي- أن يقرأه في هذه الأيّام- سمّاها: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، يقول الإمام شيخ الإسلام -رحمه الله-: إذا وجدت حديثًا، وصححه المحدّثون، وخالف قول الإمام، بكل سهولة، أقول: إمامي معذور بتركه أخذ هذا الحديث، وأنا معذور بتركي تقليد هذا الإمام.

هذا كلام بديع لشيخ الإسلام، فلماذا المحاربة يا من تدعون للتمذهب؟! هل طبقتم هذا على رسائلكم؟ أبحاثكم؟ ولا سيما في الوقت الذي كنتم في فسحة منه؟ ما موقفكم ممن خرج عن الإجماع؟ لماذا أنتم ساكتون عن هؤلاء؟ وتحاربون -فقط- من يستدل بالحديث؟

هذا أمر عجيب!! ودلالة على أن هذه المحاربة ليست إلا لإرضاء قومٍ من البشر، وليس إرضاءً لربِّ البشر.

انتهى الجواب

---

[١] وقد كتبت مقالة في مجلة الأصالة، بعنوان: الشاطبي حسنة من حسنات ابن تيمية.